Journal of Humanities and Social Sciences Studies
ISSN: 2663-7197
DOI: 10.32996/jhsss
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/jhsss

JHSSS
AL-KINDI CENTER FOR RESEARCH AND DEVELOPMENT

| RESEARCH ARTICLE

Rejection of the claim of Hashw in the Holy Quran

الرد علي دعوي الحشو المذموم في القرآن الكريم

Sayed Mohammad Hasan Khalili [1] ✉ and Burhaniddin Qanet
[12]Sharia Faculty, Takhar University, Afghanistan
Corresponding Author: Mohammed Haneefa Abdul Munas, **E-mail**: sayeed.naqibullah@fulbrightmail.org

| ABSTRACT
The Holy Quran is a miraculous and irresistible book and it is a solid word with a strong and solid structure in which the literary industry can be understood with full clarity. One of the most important aspects of the expressive miracle of the Qur'an is the accuracy in using the words and secrets hidden in the reason for choosing each of its letters and words. Accordingly, the Holy Qur'an is free from all defects and shortcomings, such as: "ugly and mediocre obscenity", which in rhetoric is referred to as "condemned obscenity". However, in some Qur'anic verses and phrases, we see the useless repetition of the contents of the previous contents and what is apparently reprehensible, the main purpose of this study is to examine the dimensions and aspects of this group of Qur'anic verses in clear It is an expression and explanation that has been quoted from the great commentators. In this research, an attempt has been made to explain the semantic position of this group of non-verbal repetitions according to their theories and views (commentators). The reader should note that the spiritual repetition that has occurred in some verses includes rhetorical benefits such as emphasis, reproduction, and exaggeration, which are considered as literary arrays and give beauty and glory to speech.

| KEYWORDS
Literary Interpretation, Spiritual Repetition, Condemnation, Vocabulary, Quran

الملخص:
القرآن الكريم كتاب معجز غير قابل للتحدي و كلام رصين ذو بنية قوية، تجد فيه الصناعات الأدبية بكل وضوح و جلاء، و من أهم جوانب الإعجاز التعبيري للقرآن الكريم، الدقة في إستخدام الكلمات و الأسرار الخفية في سبب اختيار كل حرف من حروفه وكلماته؛ وبناء علي هذا يخلو القرآن الكريم من عيوب ونقائص، مثل: "الحشو القبيح و المتوسط" المسميان في علم البلاغة بـ "الحشو المذموم". و علي الرغم من هذا، نلمح في بعض الآيات و التعبيرات القرآنية، التكرار غير المجدي لمعنى المحتويات السابقة، و ما هو مصداق للحشو المذموم ظاهرا؛ فالغرض الأساسي من هذه الدراسة، هو التحقيق حول هذه المواطن من الآيات القرآنية، علي ضوء مانقل عن أجلاء المفسرين من توضيح و بيان. و يحاول فى هذه الدراسة أن يبين الموقف الدلالي لهذه المجموعة من التكرار غير اللفظى حسب آراءهم و نظرياتهم. ويجب أن ينتبه القارئ بأن التكرار الذى وقع فى المعنى في بعض الآيات، لها فوائد بلاغية، مثل: التأكيد، والتكثير، والمبالغة، و هي من المحسنات البديعية التي تكسب للكلام جمالا و بهاء.

الكلمات المفتاحية: التفسير الأدبي، التكرار المعنوي، الحشو المذموم، اللغة، القرآن

| ARTICLE DOI: 10.32996/jhsss.2022.4.2.4

المقدمة

تبرئة لغة القرآن من الحشو المذموم، من الأمور التى اعتني بها المفسرون قديما و حديثا، رغم أنهم لم يفردوها بالتصنيف، و لم يألفوا في ذلك كتابا علي حدة، و إنما كانت بحثهم عنها مبثوثة في ثنايا كتبهم و تأليفاتهم، وتختلف موقفهم تجاه هذا الطعن حسب التالي:

فمنهم: من أخذ في الرد عليه عند تفسيرهم لبعض الآيات، مثل: الزمخشري في الكشاف، و الرازي في مفاتيح الغيب، و أبي حيان في البحر المحيط. ومنهم: من خصص له بابا و أفرده بالذكر فيه، كابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن" حيث عقد بابا، سماه: "تكرار الكلام والزيادة فيه"، و كشف فيه عن شبهات وقوع الحشو فى القرآن. ويطرح الرافعي هذا البحث فى اعجاز القرآن ويقول:

Copyright: © 2022 the Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC-BY) 4.0 license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/). Published by Al-Kindi Centre for Research and Development, London, United Kingdom.

و لما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها و مواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض، أو ما يقال فيه إنه تغوث واستراحة كما تجد من كل ذلك في أساليب البلغاء، بل نزلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وما قد يشبه أن يكون من هذا النحو الذي تمكنت به مفردات النظام الشمسي وارتبطت به سائر أجزاء المخلوقات صفة متقابلة، بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسانُ العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة. (الرافعي، 1425، 155).

الحشو لغة: ما تملأ به الوسادة(ابن منظور، 1414ه، 178/14). اتخذت هذه الكلمة جانبا اصطلاحيا فى ثلاثة علوم: (النحو، و العروض، و البلاغة)، و في علم النحو مرادف للكلمة الزائدة عن الحاجة، و استعمل أيضا في الحروف المقحمة التي تستعمل في غير محلها.(السيبويه،1408ه، 220/4). والحشو عند علماء العروض: هو الأجزاء المذكورة بين الصدر والعروض، وبين الابتداء والضرب من البيت(النكري، 1421ه، 97/1). و عرّف الحشو فى علم البلاغة بـــ: الزائد المتعين الذي لا طائل تحته (التفتازاني، 1411ه،1/ 118). و قسم علماء البلاغة الحشو إلى ثلاثة اقسام: المليح، والمتوسط، والقبيح. والحشو المليح محمود، رغم أنه لا يحتاج إليه، و لكن يزين الجملة، ويسمى الاعتراضية أيضا، مثل هذه الآية:{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} (النحل/57)، فجملة "سبحانه" جملة معترضة و حشو مليح. و الحشو المتوسط و القبيح يطولان الكلام و لا طائل فى ذكرهما؛ و من أجل هذا يكونان مذمومان، و يعدّان من عيوب الكلام. لقد قسم العلماء الحشو المذموم إلي نوعين تاليين:

الأول: التكرار فى اللفظ، و مُثِّل له بهذا البيت:

سقى الله نجدا والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على النأي والبعد

حيث بالغ الشاعر فى تكرار كلمة "نجد" فى هذا البيت.
الثانى: تكرار المعنى، كما في: "اليَوْمِ والأَمْسِ قَبْلَهُ"، و: "صُداعُ الرّأسِ"؛ لأن الكلمتين: "قبل" و"الرأس"، لا تفيدان معنى جديدا؛ فيكونان حشوا مذموما(الصعيدي، 1426ه، 328). و في هذه الدراسة، سنبحث عن النوع الأخير؛ يعنى الحشو المذموم، و سنقوم بشرح الموقف المعنوي لمثل هذ التكرار الموهم لوجود الحشو فى القرآن، و بالإجابة عن الشبهات التى أثيرت حول بعض الآيات.

و مما يجدر الإشارة إليه، أن التكرار المعنوي فى القرآن يقوم على نوعين: تكرار المفردات و تكرار الجمل. وغايتنا من هذا المقال دراسة التكرارات المعنوية و الإجابة عن الإشكالات الواردة حولها.

التكرار المعنوى للمفردات

ويندرج تحت هذا النوع من التكرار: الصفة، و الجاروالمجرور، و ما وقع حالا لمفرد، و عطف المفردات بعضها على بعض. و إليك البحث في هذه الأقسام مفصلة، علي التوالي:

أ. الصفة

الصفة تستعمل فى القرآن لأغراض مختلفة، منها: التخصيص في النكرة، نحو: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}، فلفظة: { مُؤْمِنَةٍ} صفة لتخصيص الرقبة بشرط الإيمان. ومنها: المدح والثناء، كما في صفات الله تعالى، نحو: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وَ كقوله –سبحانه-: {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا}، فقوله –تعالي-: {الَّذِينَ أَسْلَمُوا}، صفة مادحة للنبيين. ومنها: ما هو مستعمل للذم، نحو: قوله-سبحانه-: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}. فالغرض من استعمال الصفة في هذه المواطن الثلاث واضح لاخفاء فيه؛ و لكن قد يكون استخدام الصفات في بعض الآيات، بطريقة لا يكون المقصود منها واضحا في بادي النظر، بل يحتاج إلى تجشم الفكر و مزيد التأمل، ومن هذه الآيات:

الاول. الآية 196 من سورة البقرة

{فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ}

و يتجه ههنا سؤالان، أحدهما: ما فائدة قوله:{عَشَرَةٌ}؟؛ لأنه من المعلوم بالضرورة أن نجمع ثلاثة إلى سبعة، تكون عشرة. و الثاني: العشرة هي عشرة على كل حال، لا يحتمل الزيادة والنقصان، فأي فائدة في ذكر الصفة: { كَامِلَةٌ}؟، قال ابن قتيبة فى الجواب: الهدف تأكيد ما أوجبه عليه من الصيام بجمع العددين، و ذكره مجملا، كما قال الشاعر الفرزدق: **ثلاث واثنتان فهنّ خمس ... و سادسة تميل إلى شمام**(ابن قتيبة،1384، 154/1).

حيث ذكر الشاعر رقمين: (ثلاث و اثنتان) أولا، ثم عبر عنهما معا، بقوله: (فهنّ خمس). وهذا يدل على أن التوكيد طريقة مشهور في كلام العرب، و مستعمل في كلام الفصحاء و البلغاء.

و قيل في الجواب: كلام العقلاء والبلغاء قائم على الاختصار غير المخل والإسهاب غير الممل، فثمة مواضع يحلو فيها الكلام بذكر بعض لا يخلو من بعض التفاصيل، فنقول: رأيته بعيني. وسمعته بإذني. والرؤية لا تكون إلا بالعين، والسمع لا يكون إلا بالأذن، ومع ذلك لا يعتبر هذا من لغو الكلام، بل هو متمم لجماله(السقار، ب ت، 211).

الثانی.الآیة 75 من سورة النحل

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ}

یرد علیه بأن توصیف العبد بالمملوك فی هذه الآیة، موهم للحشو؛ لأنه من الواضح أن کل خادم مملوك لمالکه الخاص؛ فلذلك لا داعي علی ما یبدو، لذکر کلمة: { مَمْلُوكًا} و لا لقوله: {لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ}.

أجیب عنه: بأن ذکر المملوك؛ فلیمیّز من الحرّ؛ لأن اسم العبد یقع علیهما جمیعا؛ لأنهما من عباد الله(الزمخشري، 1407ه، 622/2). فعلی سبیل المثال، یقول الله تعالي: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}(ص /30) فالمراد من العبد في هذه الآیة، هو عبدالله؛ لا العبد المملوك لأحد من الناس، بقرینة قوله فی إستمرار الآیة: {إِنَّهُ أَوَّابٌ}. و أما في الآیة السابقة، فالغرض من ذکر الله تعالی صفة "المملوك"، هو إیصال معنی العبد غیر الحر إلی أذهان المخاطبین، ثم أکملها بـقوله: {لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ}؛ لیشیر إلی أن العبد المثالي هو خادم لا یستطیع أن یتولی الأمور إلا بإذن مالکه(الرازي، 1413ه، 1/ 260) و هذا من أسني سمات البلاغة فی کلام الله عزوجل.

الثالث. الآیتین 19 و20 من سورة نجم

{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20)}

یرد هنا، بأنه لا داعي لذکر الصفة: {الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}؛ لأنه عند ما ذکر "مناة" بعد "اللات" و "العزي"، اتضح بأنه ثالثة تلك الأصنام. أجاب ابن أثیر: بأن الله ذکر ذالك؛ لتوازن الفقر التي نظمت السورة کلها علیها(ابن اثیر، 1420ه،2/ 284). و أجاب بعض العلماء: بأن في الآیة تقدیم وتأخیر، تقدیره: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى الْأُخْرَى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ}، وقیل: هي صفة ذم کأنه تعالی قال: ومناة الثالثة المتأخرة الذلیلة(البغدادي، 1415ه،209/4). و الجواب الأول هو أحسن الأجوبة عن هذا الإشکال؛ لأن من استعمالات الصفة التأکید علی المعنی، و لذلك أمثلة کثیرة في القرآن، مثل: الآیات 13 و14 من سورة الحاقة: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}، حیث أن لفظة: {وَاحِدَةٌ} وقعت صفة لـــ{نَفْخَةٌ} و {دَكَّةً}، و هما اسمان للمرة، فلاحاجة في اتصافهما بالواحدة(ابن اثیر، 1420ه،2/ 284). یقال فی الجواب: لفظة {وَاحِدَةٌ} صفة جاءت لتأکید الجملة و لمکان نظم الکلام، کما في قوله تعالی: {إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ} (النحل. 51)، و کما یقول العرب: "أمس دابر"، و أجاب السیوطی رحمه الله بأنه: تأکید لرفع توهّم تعدُد النّفخة؛ لأنّ هذه الصّیغة قد تدلّ علی الکثرة(السیوطي، 1394، 234/3).

ب. الجار والمجرور

و من المواطن التی یعتري علیها الحشو، الجار و المجرور، کما في قول الکلحبة الیربوعي: **إذا المرء لم یغش الکریهة أوشکت ... حبال الهوینا بالفتی أن تقطعا.** فقوله: بالفتی، حشو، وکان الواجب أن یقول: "بِهِ"؛ لأن ذکر المرء قد تقدم، إلا أن یرید في قوله: "بالفتی"، الزراية و الأطنوزة، فإنه یحتمل(القیرواني، 1401ه،2/ 70). و إلیك البحث عن و جود هذ الحشو فی الآیات القرآنیة مع الإجابة عنه، في ضوء أقوال المفسرین:

الاول. الآیة 79 من سورة البقرة

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}

ومما هو موهم للحشو فی هذه الآیة، الجملة: {يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ}؛ لأنه من المعلوم ضرورة، أن الکتابة تکون بالید، فما فائدة ذکر:{بِأَيْدِيهِمْ} فی هذه الآیة؟

قال ابن قتیبة فی الجواب: لأن الرجل قد یکتب بالمجاز، وغیره الکاتب عنه. ویقول الأمّي: کتبت إلیك، وهذا کتابي إلیك. وکلّ فعل أمرتَ به فأنت الفاعل له، وإن ولیه غیرك.

قال ابن عباس رضي الله عنه في روایة أبي صالح عنه: هذا کما تقول: حملت إلی بلد کذا وکذا برّا وقمحا، وإنما ترید أمرت بحمله. فأعلمنا أنهم یکتبونه بأیدیهم ویقولون: هو من عند الله. وقد علموا یقینا- إذ کتبوه بأیدیهم- أنه لیس من عند الله. والهدف: أن الیهود یکتبون أنفسهم ثم ینسبون إلی الله تعالی. و الآیة: (167) من سورة آل عمران:{يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ}، والآیة: (46) من سورة المائدة، و الآیة: (4) من سورة الاحزاب، و الآیة: (11) من سورة الفتح من هذا القبیل(ابن قتیبة، 1384، 1/ 152).

الثاني. الآیة 3من سورة الانعام

{وَلَاطَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ}

یقول بعض الطاعنین فی القرآن الکریم: إن الطائر لا یطیر إلا بجناحیه، ففي ذکر {بِجَنَاحَيْهِ}تکرار وحشو. یقال فی الجواب: هو في الکلام بمنزلة قولك للرجل: کلمته بفِيَّ، ومشیت إلیه علی رجلي؛ إبلاغا في الکلام(الفراء، ب ت، 1/ 332).

و أجیب أیضا: بأن معنی ذلك زیادة التعمیم والإحاطة، کأنه قیل: وما من دابة فقط في جمیع الأرضین السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جمیع ما یطیر بجناحیه إلا أمم أمثالکم محفوظة أحوالها غیر مهمل أمرها(الزمخشري، 1407ه، 21/2)

الثالث. الآية 61 من سورة البقرة

{وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}

تتحدث هذه الآية المباركة عن بني إسرائيل الذين قتلوا الأنبياء، مثل: يحيى وزكريا؛ و اما محل النقاش فى الآية المذكورة: "الجاروالمجرور"، في قوله:{بِغَيْرِ الْحَقِّ}؛ إذ من المعلوم أنه لا يقتل نبي بحق. ويقال في الجواب: بأن في التصريح بقوله: {بِغَيْرِ الْحَقِّ} تعظيم للشنعة و الذنب الذي أتوه(المحاربي، 1422ه، 153/1).

الرابع. الآية 26 من سورة النحل

{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}

و مما يوهم الحشو فى هذه الآية، هو ذكر كلمة: {مِنْ فَوْقِهِمْ}، بعد قوله: {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ}؛ لأن من المعلوم أن السقف واقع في الفوق، فلا يترتب علي ذكرها أي فائدة.

و أجاب عنه ابن عطية بقوله: و معنى قوله: { مِنْ فَوْقِهِمْ}، رفع الاحتمال فى قوله: {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ}؛ فإنك تقول: انهدم على فلان بناؤه، وهو ليس تحته. كما تقول: انفسد عليه متاعه. و قوله: { مِنْ فَوْقِهِمْ}، ألزم أنهم كانوا تحته(المرجع السابق، 3/ 388). كما إذا كان الشخص في الطابق الثاني أو الثالث أو الرابع.....، فإنه يقع على السطح و تحت السطح، فإذا افترضنا أن سقط السقف الذي تحت أقدام الإنسان، فلا يمكن أن يقال: سقط السقف من فوقه، أما إذا سقط السقف الذي فوقه، فيمكن القول: سقط السقف على فوقه.

ج. الحال للمفرد

و مما يوهم وجود هذا النوع من الحشو، الآيات التالية:

الاول. الآية 109 من سورة هود

{وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ}

يبدو أن كلمة: {غَيْرَ مَنْقُوصٍ} زائد فى هذه الآية؛ لأن مبدأ الآية تقول: {لَمُوَفُّوهُمْ}، و لايكون الإيفاء إلا تاما و كاملا.

أجيب عنه: بأن لفظة:{غَيْرَ مَنْقُوصٍ}، حال مؤكدة من: { نَصِيبَهُمْ}؛ لِأَنَّ التَّوْفِيَةَ تَقْتَضِي التَّكْمِيلَ، و هذا النوع من الحال شايع في كلام العرب(ابوحيان، 1420ه،215/6). قال الزمخشري فى مورد هذه الآية: يجوز أن يوفّى وهو ناقص، ويُوفّى وهو كامل. ألا تراك تقول: وفّيته شطر حقه، و ثلث حقه، و حقه كاملا و ناقصا(الزمخشري،1407ه، 432/2). أي أنني أعطيته نصف حقه كاملاً، أو أعطيته ثلث حقه كاملاً، أو أعطيته كامل حقه، أو أعطيته حقه غير كامل، كما يتضح من كل هذه الجمل، على الرغم من استخدام كلمة: "وافَي"، تختلف درجة منح الحق. ففي هذه الآية، استخدم كلمة: {غَيْرَ مَنْقُوصٍ}، للتأكيد على منح الحق الكامل؛ لأن استخدام كلمة: "وَافَي" لا ينقل هذا المعنى بشكل جيد. و الآية [31] من سورة ق،{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ}، مثل الآية السابقة نقاشا و إجابة. و قوله:{وَأُزْلِفَتِ} مأخوذ من مصدر "إزلاف"، بمعني "قرب"(ابن منظور، 1414ه، 9/ 138). قيل: قوله-تعالي-: {غَيْرَ بَعِيدٍ}، صفة للظرف وتقديره: "في مكان غير بعيد"، و نتيجة لذلك، يشير {أُزْلِفَتِ} إلى وقت وصول الجنة، و:{غَيْرَ بَعِيدٍ}، إلى محل الجنة؛ ومن ثم جاء فى التقدير مذكرا(الآلوسي، 1415ه، 339/13).

الثاني. الآية 19 من سورة النمل

{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا}

ذِكر كلمة: {ضَاحِكًا} فى هذه الآية الكريمة، بعد الفعل: {فَتَبَسَّمَ}، يبدو زائدا. ومعنى قوله-سبحانه-:{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا}، أي: تبسّم شارعا في الضحك وآخذا فيه، يعنى أنه قد تجاوز حدّ التبسم إلى الضحك، و كذلك يكون ضحك الأنبياء عليهم السلام(الزمخشري، 1407ه، 3/ 356). و يقال فى الفرق بينهما فى المنابع اللغوية: أن الضحك هو: إنبساطُ الوجه وتكشّر الأسنان من سرور النّفس، ولظهور الأسنان عنده سمّيت مقدّمات الأسنان الضَّوَاحِكِ(الأصفهاني،1412ه، 501/1). و أما التبسم فهو أخف من الضحك(احمدمختار، 1429، 206/1). وتجدر الإشارة إلى أنه حتى لو لم يؤخذ الاختلاف المفاهيمي لهاتين الكلمتين، يمكن أن يقال: أن كلمة: {ضَاحِكًا}، استعملت من باب التاكيد و هي حال مؤكدة، أي: أن ضحك سليمان عليه السلام كان فقط بدافع الفرح والسعادة و لم يقصد السخرية والاستهزاء(ابوحيان،1420ه، 222/8).

د. عطف المفردات

يشترط فى المعطوف والمعطوف عليه أن يكون بينهما مغايرة(القزويني، ب ت، 104/3)؛ وإلا يكون الكلام بعيدا عن البلاغة. و التطويل الذى يسبب لذهاب بلاغة الكلام، يقع غالبا بسبب عطف المترادفات، فإذا لم تكن في الزيادة فائدة، يسمى «تطويلا» إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة. و يسمى «حشواً»، إن كانت الزيادة في الكلام متعينة لا يفسد بها المعنى. فالتطويل - كقول عدي العبادي في جذيمةَ الأبرش:

وقدَّدت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً ومينا

فالمينُ والكذب بمعنى واحد. ولم يتعين الزائد منهما(الهاشمي، 1385، 182)؛ و أما المثال للعطف الذى طار عليه الحشو، كقول بعض المحدَثين:

صدودكم والديار دانية أهدى لرأسى ومفرقى شيبا

فذكر المفرق بعد الرأس بما لا فائدة فيه البتة(ابن الأثير، 1375، 120/1).

و بعض الآيات موهم لمثل هذا الحشو المذموم، و قد وردت آراء مختلفة حوله، فأنكرت جماعة من المفسرين و جود مثل هذا العطف في القرآن وقالو: أنه في كل هذه الحالات توجد اختلافات مفاهيمية دقيقة، بما أن بعضهم يعتقد أن الله تعالى قد عطف بعضها لبعض من أجل التأكيد على المعنى. والمخلص في هذا أن تعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفرادهما؛ فإن التركيب يحدث معنى زائدا. و إذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ(السيوطي،1394، 2/ 226). ومن تلك الآيات:

الاول. الآية 86 من سورة يوسف

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

البث والحزن في هذه الآية يفيدان معني واحدا، فلم عطف الله –تعالى- هاتين الكلمتين بعضها لبعض؟. أجاب عنه الألوسي: بأنه على الرغم من أن "البث" و "الحزن" مترادفان، إلا أن بينهما اختلافات معنوية ودقيقة، و القرآن مملوء من هذه الظرائف والطرائف. البث في الأصل إثارة الشيء وتفريقه ك"بثّ الريح التراب"، و استعمل في الغم الذي لا يطيق صاحبه الصبر عليه، كأنه ثقل عليه فلا يطيق حمله وحده، فيفرقه على من يعينه(الآلوسي، 1415ه، 42/7). و يقول ابن قتيبة: «و البث أشد الحزن. سمى بذلك؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه، حتى يبثه، أى: يشكوه»(ابن قتيبة، 1384، 190/1).

الثانى. الآية 37 من سورة نور

{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}

يرد هنا: بأن البيع يشمل المفاهيم المتضادة، كما قال صاحب لسان العرب: «البيع ضد الشراء، والبيع الشراء أيضا، وهو من الضداد»(ابن منطور،1414ه، 23/8)؛ فلماذا عطف الله تعالى هذه الكلمة بالتجارة التى تفيد نفس المعنى؟

تختلف وجهات نظر المفسرين في الإجابة عن هذا السؤال، حسب التالى:

أ) ذكر "البيع" بعد "التجارة" من قبيل ذكر العام بعد الخاص؛ لأن التجارة هي معاملة تتم من أجل الربح، لكن "البيع" هو مطلق المعاوضة، يمكن أن يكون القيام به؛ من أجل الربح أو يكون لأغراض أخرى.

ب) فيه إفراد ماهو الأهم من نوعي التجارة؛ فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء، فيكون من باب التخصيص بعد التعميم.

ج) وقيل: المراد بالتجارة الشراء؛ فإنه أصلها و مبدؤها(البيضاوي، 1418ه، 109/4). وقد استخدمت هذه الصناعة في كثير من آيات القرآن الكريم، مثل آية 68 من سورة الرحمن{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}، حيث ذكر النخل والرمان بعد الفاكهة، وأيضا في قوله –تعالي-: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ}(نساء/ 110)، و في هذا يقول صاحب الكشاف: الظلم فى النفس نوع خاص من السيئات، كحلف الزور(الزمخشري، 1407ه، 518/1).

التكرار المعنوى فى الجملات

و يندرج تحت هذا النوع من التكرار: عطف الجملات بعضها علي بعض، و ذكر الحال للجملة، و إليك البحث عن كل واحد منهما حسب التالي:

أ. عطف الجملة بعضها علي بعض

ربما يكون العطف في مجموعة من الآيات، من باب عطف الجملة علي الجملة، وقد يكون ذلك موهما للحشو و التكرار بلا فائدة، و منها:

الآية 152 من سورة البقرة

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}

ففي هذه الآية قد عطفت جملة علي جملة أخري و هو موهم للحشو و فضول الكلام؛ لأن كلمة الشكر نقيض الكفر، فعند الحصول على الشكر لا يكون هناك كفر، فلماذا وردت جملة:{وَلَا تَكْفُرُونِ}في هذه الآية الكريمة بعد الأمر بشكر الله؟

والجواب عنه: بأن هذا من باب التاكيد، فقوله-تعالي-: {وَلَا تَكْفُرُونِ}، تأكيد لأداء الشكر. قال بعض المفسرين في بيان التفاوت بين هاتين الجملتين: {وَاشْكُرُوا} يعنى: واشكروا على النعم التى أعطيتكم،{وَلَا تَكْفُرُونِ}، يعنى: و لا تكفروا على النعم التى اعطيتكم، وذكر الله تعالى النهي باتباع الأمر؛ حتى يشمل كل الازمان(الآلوسي، 1415ه، 427/1). و يمكن أن يجاب عنه: بأن تكرار المعنى بلفظين مختلفين، يفيد الإشباع في المعنى و الاتساع في الألفاظ. و ذلك كقول القائل: آمرك بالوفاء، وأنهاك عن الغدر، مع أن الأمر بالوفاء هو النّهي عن الغدر و آمركم بالتّواصل، وأنهاكم عن التّقاطع، والأمر بالتواصل هو النهي عن التّقاطع(ابن قتيبة، 1384ه، 152/1). و من هذا القبيل، قوله –تعالي-: {**قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**} (الانعام/ 140) و قوله: { **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى**}طه /79.

ب. ذكر الحال للجملة

وضحنا سابقا بأن ذكر الحال للمفرد قديكون موهما للحشو في القرآن، فكذالك الحال للجملة، و من ذلك:

الآية 83 من سورة البقرة

{ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}

الإشكال الوارد هنا هو أن التولى والاعراض يفيدان معنى واحدا، فذكر أحدهما يغني عن الآخر، فما الفائدة في ذكرهما جميعا؟ ففي الآية تكرار بلا فائدة. أجاب عنه الزمخشري: بأن المراد من التولي: هو توليهم عن الميثاق ور فضهم له، بما أن المراد من قوله: { وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}، بيان عادتهم التي جبلو عليها، أي: وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق، والتولية(الزمخشري، 1407ه، 159/1). وأجيب أيضا: بأن المراد من قوله-تعالي-:{ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}، اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنى من الأول أسلافهم(الطبري، 1412ه، 313/1). و لكن يبدوا من ظاهر الآية: أن المخاطب فى كلي الجزأين متماثل، و لا يمكن تمييزه زمانيا. وفرق بعض العلماء بينهما، فقال: إن التولي أن يرجع عوده إلى بدئه، والإعراض أن يترك المنهج ويأخذ في عرض الطريق. والمتولي أقرب أمرا من المعرض؛ لأنه متى عزم سهل عليه العود إلى سلوك المنهج، والمعرض حيث ترك المنهج واحد في عرض الطريق، يحتاج إلى طلب منهجه، فيعسر عليه العود إليه(الآلوسي، 1415ه، 1/ 310). ويجدر بالذكر أنه وردت آيات أخري مماثلة لهذه الآية و لكن علي صورة حال للمفرد، و منها: قوله-تعالي-:{يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} (الغافر/33) و قوله:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}(الزخرف/66)، قال صاحب الكشاف ذيل هذه الآية: فإن قلت: أما أدّى قوله: {بَغْتَةً} مؤدّى قوله: {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}، فيستغنى عنه؟

قلت: لا؛ لأنّ معنى قوله –تعالى-:{وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}، وهم غافلون؛ لاشتغالهم بأمور دنياهم،كقوله:{تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ}(يس/49)"(الزمخشري، 1407ه، 263/4).

نتائج البحث

1- القرآن كتاب معجز لفظا و أسلوبا، و بريء عن الحشو و الزيادة و فضول الكلام.
2- ما وقع في القرآن من التكرار في المعنى، فإن له فوائد بلاغية، نحو: التأكيد، و المبالغة والتعميم و التخصيص و غيرها مما يزيد للكلام حلاوة و طلاوة؛ لأن تكرار المعنى بلفظين مختلفين، يفيد الإشباع في المعنى و الاتساع في الألفاظ.
3- استخدام جميع الصفات والجاروالمجرور في القرآن وقع بظرافة ودقة كاملة، و يتأدى المفاهيم الخاصة، مثل: المدح والذم والتأكيد والتخصيص.
4- المواطن التى توهم الحشو، لها دور إعرابي استخدمت للتأكيد غالبا بشكل المفرد والجملة، و يسمى هذا النوع من الحال مؤكدة.
5- إن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفرادهما؛ و لذلك نجد في القرآن عطف المترادفين بعضها علي بعض، كما في قوله –تعالي- علي سبيل الحكاية: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ}.

المراجع

[1] ابن اثير، ضياء الدين. 1420ه. المثل السائر فى آدب الكاتب والشاعر. المحقق: احمد الحوفى. بيروت، المكتبة العصرية.
[2] ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. 1384ه. تأويل مشكل القرآن. المحقق: إبراهيم شمس الدين. بيروت، دارالكتب العلمية.
[3] ابن منظور، محمد بن مكرم. 1414ه، لسان العرب. بيروت: دارصادر، الطبع الثالثة.
[4] ابوحيان، أثير الدين محمد بن يوسف. 1420هـ. البحر المحيط فى التفسير. المحقق: صدقى محمد جميل. بيروت، دارالفكر، الطبع الأولي.
[5] أحمد مختار، عبد الحميد عمر. 1429ه. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب، مادة تبسم، الطبع الأولي.
[6] الأصفهانى، الحسين بن محمد. 1412هـ. المفردات فى غريب القرآن. المحقق: صفوان عدنان الداودى. دمشق – بيروت، دارالقلم والدار الشامية، الطبع الأولي.
[7] الآلوسى، شهاب الدين محمود بن عبد الله. 1415هـ. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى. المحقق: على عبدالبارى عطية. بيروت، دارالكتب العلمية، الطبع الأولي.
[8] البغدادى، على بن محمد. 1415ه. لباب التأويل فى معانى التنزيل. بيروت، دارالكتب العلمية، الطبع الأولي.
[9] البيضاوى، ناصرالدين عبد الله بن عمر. 1418هـ. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلى. بيروت، دارإحياء التراث العربى.
[10] التفتازاني، سعدالدين مسعود بن عمر. 1411ه. مختصر المعانى، قم: دارالفكر، الطبع الأولي.
[11] الرازى، محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر. 1413ه، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آى التنزيل. بيروت، دارالكتب الشامية، الطبع الأولي.
[12] الرافعى، مصطفى صادق بن عبدالرزاق. 1425ه، اعجاز القرآن وبلاغة النبوية، بيروت، دارالكتب العربى، الطبع الثامن.
[13] الزمخشرى، جارالله محمود بن عمر. 1407ه. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. بيروت: دارالكتب العربى، الطبع الثالث.
[14] السقار، منقذ بن محمود. (ب ت). تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين. رابطة العالم الاسلامى.
[15] السيبويه، عمروبن عثمان. 1408هـ. الكتاب. قاهره: مكتبة الخانجى، الطبع الثالث.
[16] السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. 1394هـ. الاتقان فى علوم القرآن. المحقق: محمد أبوالفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبع الأولي.
[17] الصعيدي، عبدالمتعال، الصعيدى. 1426هـ. بغية الإيضاح للتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة. مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر.
[18] الطبرى، محمد بن جرير. 1412 هـ. جامع البيان عن تأويل آى القرآن. المحقق: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركى. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبع الأولي.
[19] الفراء، ابو زكريا يحى بن زياد. (ب-ت). معانى القرآن. المحققون: احمد يوسف النجاتى- محمد على النجار- عبدالفتاح اسماعيل الشلبى. مصر: دارالمصرية للتأليف والترجمة، الطبع الأولي.
[20] القزويني، أبوالمعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر. ب-ت. الإيضاح في علوم البلاغة. المحقق: محمد عبد المنعم الخفاجي. بيروت: دار الجيل، الطبعة الثالثة.
[21] القيروانى، ابوعلى الحسن بن رشيق. 1401 هـ. العمدة فى محاسن الشعر وآدابه. المحقق: محمد محيى الدين عبدالحميد. بيروت: دارالجيل، الطبعة الخامسة.
[22] المحاربي، عبدالحق بن غالب. 1422هـ. المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز. المحقق: عبدالسلام عبدالشافى محمد. بيروت: دارالكتب العلمية، الطبع الأولي.
[23] النكرى، عبدالنبى بن عبدالرسول. 1421ه، دستورالعلماء. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبع الأولي.
[24] الهاشمى، أحمد بن إبراهيم. 1385هـ. جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع. الضبط والتدقيق والتوثيق: د.يوسف المصميلى. بيروت: المكتبة العصرية.